IJTIHAD JOURNAL
for Islamic and Arabic Studies
ISSNe: 3041-4679
ISSN: 2983-9939

Volume 2 - Issue 3, January - June 2025
مجلد 2 - عدد 3، يناير – يونيو 2025

The Position of the Arabic Language in German Oriental Studies

Formation and Development

Dr. Abdelmalek HIBAOUI
* Eberhard Karls University of Tübingen
Germany (formerly)
Hibaoui@web.de

IJTIHAD CENTER
FOR STUDIES AND TRAINING

OPEN ACCESS
Date received: Feb 11, 2025
Date revised: March 20, 2025
Date accepted: April 5, 2025
DOI: 10.5281/zenodo.15803583

ABSTRACT

This article explores the development of German Orientalism's relationship with the Arabic language, from its beginnings in the 12th century to the modern era, highlighting its diverse contributions to the study of Arab-Islamic heritage. German Orientalists have played a pioneering role in teaching Arabic, editing texts, translating, publishing, cataloguing manuscripts, and more. These efforts have helped shape a vast body of knowledge that contributed to a deeper understanding of cultural identity from the perspective of the "Other".

The article traces the different phases that German Orientalism has undergone in its engagement with the Arabic language, analyzing the characteristics that defined each stage and the factors that influenced its evolution. It sheds light on the importance placed on Arabic texts—both poetic and prose—and on the institutional emphasis on Arabic philology as a core academic discipline within Oriental studies departments in Germany. The article concludes that German Orientalism has significantly contributed to building an intellectual bridge between Arab-Islamic culture and the West. This calls upon Arab scholars to approach this legacy with critical awareness in order to understand its dynamics and anticipate its future directions.

KEYWORDS:

German Orientalism; Arabic Language; Arabic Philology; Arab-Islamic Heritage; Oriental Studies.

IJTIHAD JOURNAL
for Islamic and Arabic Studies
ISSNe: 3041-4679
ISSN: 2983-9939

Volume 2 - Issue 3, January - June 2025
مجلد 2 - عدد 3، يناير – يونيو 2025

موقع اللغة العربية في الدراسات الاستشراقية الألمانية
التشكل والتطور

الدكتور عبد الملك هيباوي
* جامعة إيبرهارد كارلس، توبنغن - ألمانيا (سابقا)
Hibaoui@web.de

IJTIHAD CENTER
FOR STUDIES AND TRAINING

OPEN ACCESS

تاريخ الاستلام: 11 فبراير 2025
تاريخ التعديل: 20 مارس 2025
تاريخ القبول: 5 أبريل 2025
المعرف الرقمي: DOI: 10.5281/zenodo.15803583

الملخص:

يتناول هذا المقال تطور علاقة الاستشراق الألماني باللغة العربية، منذ بداياته في القرن الثاني عشر إلى العصر الحديث، مبرزا إسهاماته المتنوعة في دراسة التراث العربي الإسلامي. فقد لعب المستشرقون الألمان دورا رياديا في مجالات تدريس اللغة العربية، وتحقيق النصوص، والترجمة، والنشر، وفهرسة المخطوطات، مما ساهم في تشكيل رصيد معرفي ضخم ساعد في تعريف الذات الحضارية من منظور الآخر.

يرصد المقال المراحل المختلفة التي مر بها الاستشراق الألماني في تفاعله مع اللغة العربية، ويحلل الخصائص التي ميزت كل مرحلة، والعوامل التي أثرت في تطورها، مثل الاهتمام بفهم النصوص العربية شعرا ونثرا وتكريس فقه اللغة كأحد محاور التكوين الأكاديمي في معاهد الدراسات الشرقية بألمانيا. ويخلص المقال إلى أن الاستشراق الألماني ساهم بعمق في بناء جسر معرفي بين الثقافة العربية والإسلامية والغرب، مما يستدعي من الباحث العربي قراءة هذا المسار بوعي نقدي لاستيعاب تمفصلاته واستشراف آفاقه.

الكلمات المفتاحية:

الاستشراق الألماني؛ اللغة العربية؛ فقه اللغة؛ التراث العربي الإسلامي؛ الدراسات الشرقية.

مقدمة[1]

للاستشراق الألماني، الذي تعود بداياته الأولى الى منتصف القرن الثاني عشر[2]، إسهاماته في دراسة التراث العربي الاسلامي، وهي تمثل سيلا متدفقا، وثروة هائلة من الدراسات والبحوث تشكلت عبر عقود من الإنتاج العلمي والفكري في مجالات التأليف والتحقيق والنشر والترجمة والفهرسة والنقد...، وغيرها. وهي منجزات تجاوز صداها حدود ألمانيا إلى البلاد الأوروبية، بل لقد غمرت أشعتها أصقاعا بعيدة من العالم بما فيها العالمين العربي والإسلامي فيما صار يعرف بالدراسات العربية والإسلامية بألمانيا.

وغني عن البيان القول أن الاستشراق الألماني في علاقته باللغة العربية قد شكل، في وجه من أوجهه، أحد مسارات التلاقح الثقافي والحضاري، التي ينبغي الوعي بها وبتمفصلاتها من طرف الباحثين والدارسين. إذ يمكن القول، إن التراكم الذي حققه المستشرقون الألمان في دراسة التراث العربي

[1] **To cite this article:**

HIBAOUI, Abdelmalek, *The Position of the Arabic Language in German Oriental Studies: Formation and Development,* Ijtihad Journal for Islamic and Arabic Studies, Ijtihad Center for Studies and Training, Belgium, Vol. 2, Issue 3, June 2025, 27-48.

عبد الملك هيباوي، **موقع اللغة العربية في الدراسات الاستشراقية الألمانية: التشكل والتطور**، مجلة اجتهاد للدراسات الإسلامية والعربية، مركز اجتهاد للدراسات والتكوين، بلجيكا، مج. 2، ع. 3، يونيو 2025، 27-48.

© This research is published under the (CC BY-NC 4.0) license, which permits anyone to download, read, and use it for free, provided that the original author is credited, any modifications are indicated, and it is not used for commercial purposes.

[2] يرجع الباحثون المهتمون بالدراسات الاستشراقية الألمانية اتصال ألمانيا بالشرق، إلى قرون ماضية، وبالتحديد إلى الحروب الصليبية؛ بدءا من الحملة الصليبية الثانية الممتدة ما بين (1147 –1149م)، وعودة حجاجها من الأراضي المقدسة، ووصفهم لما شاهدوه، ونقلهم عنها لشيء من حضارتها، وكذا قيام الرهبان ورجال الدين، ومن بينهم علماء ألمان، بالترجمة عن الأندلس. لكن هذه الرغبة في معرفة الشرق ستشتد أكثر بعد أن فتح الأتراك مدينة إستنبول عام 1453. فأخذ بعض العلماء الأوربيين يولون وجوههم شطر الشرق ليحصلوا على مخطوطات عربية من إستنبول ودمشق وغيرهما، و يتعلمون اللغة العربية. لمزيد من التوسع يرجى الرجوع الى الأبحاث الآتية: نجيب العقيقي، المستشرقون، ط3، دار المعارف، مصر، 1965، 20/1. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط 3، دار الملايين، بيروت، 1993، ص 136 وما بعدها، وقارن ذلك بـ:

Hans Robert Roemer, Araber und Deutsche, Begegnungen in einem Jahrtausend, Herausgegeben von Friedrich H. Kochwasser und Hans R. Roemer, Horst Erdmann Verlag, 1974, S. 6, A. Schimmel, Der Islam, Eine Einführung, Philipp Reclam Jun, Stuttgart, 1990, S. 8-9.

الإسلامي عامة واللغة العربية على وجه الخصوص، قد شكل مدخلا لمعرفة الذات من منظور الآخر، ومنه معرفة القيمة التي يكتزها هذا التراث الذي يعد الأساس الذي قامت عليه "النحن" الحضارية.

لقد أولى المستشرقون الألمان عناية خاصة للغة العربية على مستوى التدريس والدراسة والنشر والترجمة وإصدار القواميس، وقدموا خدمات جليلة في هذا المجال لكل مشتغل بلغة الضاد. كما يعتبر فقه اللغة العربية من التخصصات التي أولتها وتوليها المعاهد الشرقية في ألمانيا عناية بالغة، ذلك أن تعلم اللغة العربية ودراسة النصوص اللغوية يعتبر أمرا طبيعيا في كل الجامعات التي بها قسم للدراسات الشرقية، وأمام كل طالب الفرصة من بداية دراسته إلى نهايتها ليتعرف على نصوص مختارة من اللغة العربية في مجالي الشعر والنثر.

سنحاول في هذه المقالة أن نطلع القارئ العربي على طبيعة اهتمام المستشرقين الألمان باللغة العربية من خلال الإجابة على التساؤلات التالية: ما هي المراحل التي مر منها الاستشراق الألماني في تعاطيه مع اللغة العربية واحتكاكه بها؟ وما الذي ميز كل مرحلة عن الأخرى؟ وكيف تشكلت معالم ذلك التطور؟ وما هي العناصر المؤثرة في ذلك؟ وكيف انعكس ذلك كله على فقه اللغة العربية في معاهد الاستشراق الألمانية منذ نشأتها إلى الآن؟

1. مفهوم الاستشراق في ألمانيا

ورد في الجزء الثاني عشر من موسوعة دائرة المعارف تعريفا للاستشراق الألماني من حيث دلالته العامة، يفيد أن "الاستشراق في ألمانيا تسمية لفئة من مواد التعليم اللغوية والتاريخية، التي تتعلق بلغات وثقافة الشرق الأدنى، وشمال إفريقيا والمناطق الواقعة إلى الشرق والجنوب من ذلك، وهذا يعني آسية حتى الشرق الأقصى بالإضافة إلى إفريقية، كما أنه من مواضيع الاستشراق التأثير الشرقي في الأصقاع الأخرى كالأندلس والبلقان وبلاد القوقاز وجزر المحيط الهادي".[1] فهذا المفهوم هو أقرب إلى المفهوم الكلاسيكي العام للاستشراق، وهو يدل دلالة شاملة على علوم ولغات وحضارات وأديان وتقاليد آسيا وإفريقية، وجزء من أوربا منذ العصور المبكرة حتى العصر الحاضر. ويتضح ذلك بجلاء من خلال التخصصات الشرقية في ألمانيا التي يمكن حصرها وتحليلها في "الدراسات المصرية القديمة، الدراسات الشرقية القديمة، الدراسات السامية، الدراسات العبرية، الدراسات العربية، علوم الإسلام، علم الشرق المسيحي، الدراسات الإيرانية، الدراسات البوذية، الدراسات الهندية، الدراسات التركية، الدراسات الأسيوية القديمة، الدراسات الماغولية، الدراسات التيبتية، الدراسات الصينية،

[1]- فؤاد أفرام البستاني، قاموس عام لكل فن و مطلب، دائرة المعارف، بيروت، 1977، 33/12.

الدراسات اليابانية، الدراسات الكورية، علم جنوب شرق آسيا والدراسات الإفريقية[1]. وتأكيدا لما سبق فقد لخص المستشرق الألماني رودي بارت Rudi Paret مفهوم الاستشراق وحصره في الحقل المعرفي المشتغل بعلم الشرق أو علم العالم الشرقي[2].

إن هذه التخصصات التي يهتم بها الاستشراق الألماني في دلالته العامة توحي، من الوهلة الأولى، بحجم الاهتمام الكبير الذي أولته، ومازالت، جامعات ومعاهد ألمانيا لحضارة الشرق وثقافته. وهذا يعكس طبيعة العقلية الألمانية الشغوفة والمفتونة بالاطلاع والتعرف على كل غريب وأجنبي، ويعكس، في الوقت نفسه، الجدية والصبر اللذين يميزان الشخصية الألمانية في مجال البحث العلمي والأدبي. وتلك ميزة لاشك يلحظها من زار ألمانيا، أو أقام بها أو درس بجامعاتها ومعاهدها. وسنتناول هذا التميز في الشخصية الألمانية في المباحث القادمة من هذه الدراسة.

2. نشأة الاستشراق في ألمانيا

يرجع الباحثون المهتمون بالدراسات الاستشراقية الألمانية اتصال ألمانيا بالشرق، إلى قرون ماضية، وبالتحديد إلى الحروب الصليبية؛ بدءا من الحملة الصليبية الثانية الممتدة ما بين 1147 و1149، وعودة حجاجها من الأراضي المقدسة، ووصفهم لما شاهدوه، ونقلهم لشيء من حضارتها، وكذا قيام الرهبان ورجال الدين، ومن بينهم علماء ألمان، بالترجمة عن الأندلس[3]. لكن هذه الرغبة في معرفة الشرق ستشتد أكثر بعد أن فتح الأتراك مدينة إستنبول عام 1453م. فأخذ بعض العلماء الأوربيين يولون وجوههم شطر الشرق ليحصلوا على مخطوطات عربية من إستنبول ودمشق وغيرهما، ويتعلمون اللغة العربية[4]. في هذا السياق أرسل الملك فرانسوا الأول سنة 1534م المستشرق الفرنسي الأصل ولهام بوستل Wilhelm Postel (1510-1581) إلى مصر ثم استنبول لشراء

[1] Roemer, Hans Robert, Deutsche Orientalistik der siebziger Jahre. Thesen- Zustandsanalyse-Perspektiven ., Deutsche morgenländische Gesellschaft, August. 1972 , Freiburg, S. 3

[2] رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه، تر. مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة، (بلا تاريخ)، ص 11.

[3] قارن بين نجيب العقيقي، المستشرقون، 20/1 و

Hans Robert Roemer, Araber und Deutsche, Begegnungen in einem Jahrtausend, Herausgegeben…, S. 6, -A. Schimmel, Der Islam, Eine Einführung, Philipp Reclam Jun, Stuttgart, 1990, S. 9

[4] قارن بين عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 136 وما بعدها، و Schimmel, A. Der Islam, Eine Einführung, S. 8

مخطوطات شرقية، فتعلم العربية وبعض اللغات الشرقية، ولما رجع إلى وطنه عينه الملك أستاذا للغات الشرقية في معهد فرنسا College de France عام 1539،[1] وكان قد ألف سنةً قبل ذلك كتابا في النحو العربي مليئا بالعيوب تحت مسمى "Arabica Grammatica"، نبه فيه إلى أهمية اللغة العربية وأدبها[2]. وقد كان هدف بوستل من دراسة اللغة العربية هو تعبيد الطريق للمبشرين في بلاد الإسلام، على قاعدة أن من يملك ناصية اللغة العربية، يستطيع أن يهزم أعداء الدين المسيحي بسلاح الكتب المقدسة، بل ويفند عقائدهم بواسطة عقائدهم نفسها، وبالتالي يكون على صلة بالعالم كله عن طريق معرفة لغة واحدة، هي اللغة العربية[3]. لكن المخطوطات التي جاء بها بوستل من الشرق إلى أوروبا، باعها إلى مكتبة مدينة هايدلبرج Heidelberg الألمانية، عندما وقع في ضيق مالي[4]. وهكذا كانت بداية الدراسات العربية في ألمانيا، بوصول تلك المخطوطات، قد بلغت أول محطاتها[5].

لقد شكلت مخطوطات بوستل أساس الثروة العربية، التي عرفت بها مدينة هايدلبرج، وهو ما يفسر اعتناءها بالدراسات العربية منذوقت مبكر إلى الآن. ومن ملامح ذلك الاعتناء المبكر قيام تلميذ بوستل، المستشرق جوزيف سكاليجر Joseph Scaliger بدور التوفيق بين نظام التأريخ الإسلامي والتأريخ المسيحي، كما بدأ يحضر لترجمة مجموعة من الأمثال العربية إلى اللغة اللاتينية[6].

بعد وصول المخطوطات الإسلامية الأولى إلى مكتبة هايدلبرج، قام بعض علماء اللاهوت الألمان بدراستها، كان على رأسهم يونيوس Junius، الذي ترجم بعضها إلى اللاتينية[7]. لكن أول شخص تعامل

---

[1] معهد فرنسا كان أول كرسي للغة العربية أنشئ في أوربا عام 1539، وقد أفاد كثيرا في دراسة اللغات والشعوب الشرقية في أوربا، موسوعة المستشرقين، ص 136 وما بعدها.

[2] Schimmel, A. Die Aneignung arabischer Literatur in der deutschen Klassik und Romantik, S. 137

[3] عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 136 وما بعدها.

[4] دور "ولهام بوستل" في تطوير فقه اللغة العربية في ألمانيا بارز في الدراسات الاستشراقية. فقد كانت أفكاره أكثر مما هو معروف إلى حد الآن. فقد باع مخطوطاته العربية إلى أمير هايدلبرغ لما أصابه العوز، وكان أهم تلك المخطوطات: تاريخ ابن الفدا، مؤلفات يوحنا الدمشقي، ترجمة عربية للتراث ورسائل القديس بولس وأعمال الرسل، ترجمة سريانية للعهد الجديد. ينظر: صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، (مقال: "يوهان يعقوب رايسكه" بقلم يوهان فوك)، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1978، 15/1. قارن ذلك بـ:

A. Schimmel, Die Aneignung arabischer Literatur…, S. 137. A. Schimmel, West-östliche Annäherungen-Europa in der Begegnung mit der islamischen Welt. Verlag W. Kohlhammer, Stuttgart, Berlin, Köln, 1995 ,S. 47-48

[5] قارن بين يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق. الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين ، تح. عمر لطفي العالم، دار قتيبة، دمشق، 1996، ص 54. ونجيب العقيقي، المستشرقون، 678/2.

[6] عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 135 فما بعدها. نجيب العقيقي، المستشرقون، 678/2، وقارن بـ:

A. Schimmel West-östliche Annäherungen…, S. 48

[7] نجيب العقيقي، المستشرقون، 678/2.

معها تعاملا علميا جادا، كان أحد تلامذة يونيوس، يدعى يعقوب كرسيتمان Jakob Christmann (1554-1613)[1]، الذي تعلم اللغة العربية من كتاب النحو ليونيوس، وعرض على الأمير يوهان فاسيمير تأسيس كرسي خاص لدراسة اللغات الشرقية، وخاصة اللغة العربية في جامعة هايدلبرج عام 1590، لكن ذلك المشروع لم ير النور إلا عام 1609 بعد مرحلة من الإعداد الطويل[2].وبهذا تعتبر محاولة كرستمان، كما يرى صلاح الدين المنجد، أول محاولة في ألمانيا لتأسيس الدراسات العربية هناك، حيث ألف كتيبا لتعليم اللغة العربية، وأعد للمطبعة الحروف العربية في قوالب من الخشب[3]. فكان من نتائج هذا الانفتاح أن ظهرت أول ترجمة للقرآن إلى اللغة الألمانية من طرف سلومون شفايجر Salomom Schweiger عام 1616م[4].

ومع مرور الوقت تنامى الاهتمام داخل ألمانيا بالدراسات العربية، ومر ذلك عبر مراحل مختلفة، حسب التطورات التي عرفتها الساحة الدينية والفكرية والسياسية في ألمانيا، وكذا العلاقات الدولية.

3. مراحل تشكل الدراسات العربية في ألمانيا وتطورها

حتى لا نعطي انطباعا معكوسا أو مخالفا لما هو سائد في العالم الإسلامي، لابد أن ننبه في البداية إلى أن المعنى المقصود بمصطلح الدراسات العربية والإسلامية، لا في ألمانيا وحدها فحسب، وإنما كذلك في أكثر البلدان الأوروبية، يراد به الناحية اللغوية ليس إلا، أو ما يسمى ب "فقه اللغة" Philologie، ذلك أن إتقان اللغات الشرقية، مثل العربية والتركية والفارسية، بشكل عام يساعد المستشرقين على الاطلاع على التراث الإسلامي عن كثب، ويعتبر في الوقت نفسه المفتاح الأساس لفهم الحضارة الإسلامية المتكاملة. أما ما يتعلق بدراسة الدين والعلوم الإسلامية المختلفة، كالقرآن الكريم والحديث والتفسير والفقه والتصوف والفلسفة وعلم الكلام وكتب السير وغيرها، فإن ذلك جاء متأخرا ولم يبدأ بالمعنى التخصصي للكلمة إلا بداية القرن العشرين.

---

[1] يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص 54 .

[2] كان "كريستمان" هو الآخر قد جعل دراسة اللغة العربية وسيلة لنشر المسيحية. ينظر: صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان. المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1978، 15/1 وقارن ذلك بـ: A. Schimmel, Die Aneignung arabischer Literatur, S. 137

[3] صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، 7/1.

[4] قارن بين عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 136 وما بعدها، و A. Schimmel, Der Islam, Eine Einführung, S. 8

وعليه فقد عرفت الدراسات العربية أو ما يسمى "فقه اللغة" في ألمانيا تطورا مطردا عبر البحث المتواصل، والتفاعل المستمر لكشف خبايا التراث العربي والإسلامي. وقد مر هذا التطور عبر ثلاث محطات أساسية.

1.3. مرحلة ارتباط الدراسات العربية بعلم اللاهوت

يختلف واقع الدراسات العربية في الجامعات الأوروبية من بلدلآخر، فقد ازدهرت مثلا دراسة اللغة العربية في كل من هولنداوإنكلترا في القرن السابع عشر، بهدف تنمية التبادل التجاري، والبحث عن أسواق جديدة في الشرق العربي. لذا فتعلم اللغة العربية في هذين البلدين ارتبط بالدرجة الأولى بالمصلحة الاقتصادية. أما في فرنسا فقد كانت الاهتمامات في هذه الفترة منصبة أساسا على التراث المسيحي العربي، وتعاليم الكنيسة الشرقية، خاصة المارونية منها، في كل من سوريا ولبنان. وقد تضافرت جهودها لطبع الكتاب المقدس ونصوص الأناجيل والكتب الدينية والأدعية وغير ذلك[1]. وهنا يظهر بوضوح البعد التبشيري في توظيف اللغة. أما في ألمانيا فقد كانت دراسة اللغة العربية في هذه الفترة مرتبطة بدراسة اللغة العبرية القديمة والسريانية في إطار ما كان يسمى بفقه اللغات المقدسة (Philologie Sacr، لأن البروتستانت في ألمانيا ركزوا اهتمامهم أولا على دراسة الكتاب المقدس، وترجماته القديمة المختلفة، ومنها العربية والسريانية والقبطية[2]. فالأمر هنا يتعلق بالإصلاح الديني المرتبط بفهم الكتاب المقدس، حيث وظفت اللغة العربية كوسيلة مساعدة في تحقيق هذا الغرض.

وبناء على ذلك تجمع أغلب الدراسات، التي تناولت الاستشراق الألماني[3]، على أن أول اهتمام للمستشرقين الألمان باللغة العربية، كغيرهم من مستشرقي أوروبا، كان منصبا على تلبية حاجات علماء اللاهوت المسيحي. فقد ظلت الدراسات العربية في ألمانيا لأكثر من ثلاثة قرون- من القرن

[1] وسف ظافر، الاستشراق الألماني إلى أين؟ حوار مع المستشرق الألماني هلرتموت بوبزين، مجلة التراث العربي، دمشق، ع. 68، س 14، آب/أغسطس 1997م -ربيع الآخر 1418هـ، ص 24.

[2] المصدر والصفحة نفسهما.

[3] ينظر: فؤاد أفرام البستاني، دائرة المعارف، ج 12، ص 33.رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص 17. يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص 90 وما بعدها. صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مقال "يوسف فون هامر بورجشتال"، بقلم أنيماري شيمل، ص 27. محمد حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، سلسلة كتاب الأمة، ط1، 1404هـ - 1998م ص 39. محمد سديد، مقال "مساهمة المستشرقين الألمان في نشر الكتاب العربي في أوروبا من بداية الطباعة إلى نهاية القرن الثامن عشر"، فكر وتاريخ: دراسات مهداة للدكتور مانويل فايشر، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 23، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998، ص 202، وقارن بـ:
Gernot Rotter, „Die arabischen und islamischen Studien an der Universität Tübingen“, Araber und Deutsche…, S. 249. A. Schimmel, West-östliche Annäherungen…, S. 47. A. Schimmel, Weltpoesie ist Weltversöhnung, Ergon Verlag, Würzburg, 1996, S. 16.

الخامس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر- مادة فرعية في دراسة علم اللاهوت، ولم يكن العلماء الألمان يعتبرون دراسة اللغة العربية سوى امتدادا لدراسة اللغة العبرية، التي كانت هي جوهر الدراسات آنذاك.

لما قامت حركة مارتن لوثر (1483-1546)، التي عرفت باسم "الإصلاح الديني"، بالثورة على الفاتيكان، حيث بدأ مارتن دعوته بالرجوع إلى دراسة التوراة "العهد القديم" في لغتها الأصلية، وهي العبرية. ولما كانت العلاقة بين العبرية والعربية وثيقة، باعتبارهما لغتين ساميتين تاريخيا، ومتجاورتين جغرافيا وألسنيا، فإن الاستعانة باللغة العربية في التعرف على الكلمات العبرية، كان أمرا تفرضه ضرورة فهم وبعث الكتاب المقدس في صورة جديدة، بعيدا عن التصورات التي كانت قد تبنتها الكنيسة. وفي هذا الإطار يقول المستشرق الفرنسي سيلفستر دي ساسي Silvester de Sacy- 1758) (1838:

"إن دراسة الآثار الأولى للدين - المسيحي- كانت الهدف الأول الذي دعا بعض العلماء إلى تكريس جهودهم للغة العبرية، التي كتبت بها أقدم الوثائق من العصور الأولى للعالم. وبعد حين أدرك القوم، أنه للنفوذ في هذا المعبد وتذليل الصعوبات التي اعترضت من كل جانب، كان لا بد من أن ينضاف إلى دراسة هذه اللغة (العبرية)، دراسة سائر اللغات التي يتكلم بها في البلاد المجاورة لتلك التي كان يسكنها العبريون، ويتكلم بها شعوب منحدرون من نفس الأصل (السامي)، ومن بين اللغات التي كانت تدرس كلغة مساعدة للعبرية ومختلف لهجاتها الأساسية، كانت اللغة العربية"[1].

نستنتج من كلام دي ساسي أن اللغة العربية في هذه المرحلة لم تكن تدرس لقيمتها الأدبية، أو لمعرفة تطور أدب العرب والمسلمين، أو التعمق في فهم دينهم وتاريخهم وحضارتهم، وإنما لتوظف وسيلة لفهم العبرية وإسداء خدمات في تفسير العهد القديم. ذلك أن "تفسير العالم الذي كان تفسير الإصلاح الديني الألماني، يمنع ما يمكن له أن يكون انفتاحا على نصوص "كافرة""[2]، كما أن تأخر وضعف وجود كراسي جامعية لتدريس اللغة العربية، ساهم في ذلك[3]. فكان الباحث، كما يقول المستشرق الألماني يوهان فوك، "يكتفي بالبحث عن أصول كلمات عربية في القاموس العربي

[1] نقلا عن عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 334-335.

[2] أحمد حسن عبد السلام،" تاريخ الاستشراق الألماني"، مجلة الفكر العربي، ع. 31، س. 1983، ص 192.

[3] يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص 100.

"ليوليوس فلهاوزن"، ويقابلها بكلمات عبرانية، مختارا له من المعاني لكل كلمة المعنى الذي يوافق أغراضه"[1].

بقي وضع اللغة العربية في ألمانيا على حاله، إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وسيلة لاهوتية بواسطتها يمكن الكشف عن المواضيع الغامضة في العهد القديم. وتجدر الإشارة هنا إلى أن العلماء الألمان كانوا في مطلع القرن الثامن عشر قد تعلموا اللغات الشرقية في هولندا، التي يرجع الفضل في تميزها آنذاك في الدراسات العربية إلى المستشرق الهولندي يعقوب جوليوس Jakob Golios (1596-1667)، الذي نشر "أقوال علي" رابع الخلفاء عام 1629، ونشر أول قاموس عربي لاتيني بقي المرجع الأساس لمدة قرنين، كما كان للمائتين وخمسين مؤلفا عربيا التي جلبها من الشرق دورا فاعلا في تحويل مدينة ليدن Leiden، التي كانت تدرس فيها العربية منذ 1593، إلى مركز للأبحاث العربية. ولمارجع العلماء الألمان إلى بلادهم، عملوا على تعليم اللغة العربية في جامعات ألمانيا، وحاولوا إخراجها من نطاق التوراة التي ضربت حولهاردحا من الزمن، إلى ميدان الثقافة العامة[2].

نستنتج أن الاهتمام والتأييد اللذين أولتهما ألمانيا للغة العربية خلال الفترة الممتدة ما بين القرن 15والقرن 18 كان ضعيفا، بالمقارنة مع دول أوربية أخرى مثل فرنسا وهولندا وبريطانيا والنمسا وإيطاليا. لكن هذا التأييد للغة العربية في هذه الدول كان مرتبطا بمصالح اقتصادية وسياسية،[3] إضافة لما ذكرناه من أهداف دينية لاهوتية.

2.3. مرحلة استقلال الدراسات العربية عن علم اللاهوت

يعتبر النصف الثاني من القرن الثامن عشر مؤشرا حقيقيا لتأسيس مرحلة علمية، تتعلق بالدراسات العربية في ألمانيا، بعد أن ظلت لقرون طويلة، حبيسة تصورات علماء اللاهوت، و امتدادا لدراسة العبرية.

يرجع الفضل في الاهتمام الحقيقي بالدراسات العربية إلى عصر التنوير؛ ذلك أن منطقة الصين، التي أصبحت معروفة في أوروبا عن طريق المبشرين اليسوعيين، الذين رأوا في الفلسفة الصينية، وقيادة الدولة الطابع المثالي للدين المنطقي والمعقول، لم تخلق فقط لدى فلاسفة الأنوار الأوروبيين، بما فيهم الألمان، الحماسة للتعرف على حقيقة الصين، ولكن فتحت أيضا أعينهم نحو حضارات أخرى. فقد أدركوا أن الإسلام، الذي طبع بحضارته لقرون عديدة مناطق كثيرة في آسيا وأفريقيا

[1] صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، (مقال "يوهان يعقوب راسيكه"، بقلم يوهان فوك)، 1/ 24.

[2] نجيب القيقي، المستشرقون، 679/2. قارن بـ: A. Schimmel, West-östliche Annäherungen S48

[3] قارن: يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص 100. يوسف ظافر، الاستشراق الألماني إلى أين؟ حوار مع المستشرق الألماني هلرتموت بوبتسين، مجلة التراث العربي، دمشق، ع. 68، س 17، آب /أغسطس 1997م -ربيع الآخر 1418هـ، ص 24.

وأوروبا، لا يمكن أن يكون بنفس الصورة المضحكة وغير المعقولة التي تشكلت خلال القرون الوسطى في وعي الكثيرين. وهكذا بدأت تظهر في القرن 18 المواضيع الإسلامية في الكتابات الأوروبية[1]. يضاف إلى ذلك ترجمة كتاب "ألف ليلة وليلة" إلى الفرنسية عام 1704، والأخبار التي نقلها القصاصون والرحالة لما شاهدوه في إيران من قصور ومساجد رائعة في أصفهان وأفنية قصور سلاطنة العثمانيين في تركيا[2].

وهكذا، فتناغما مع عصر التنوير والحركة الرومانسية، اللتين عرفتهما أوروبا في ذلك القرن، ومع التحول القوي إلى الاشتغال بأسس الدين والتاريخ الإسلاميين، بدأت اللغة العربية تتحرر تدريجيا من موقعها التابع باعتبارها خادمة لعلم اللاهوت، وبدأت ملامح صور جديدة تتشكل وتشق طريقها في صفوف العلماء، وتكسب الدراسات الشرقية عموما، والدراسات العربية على وجه الخصوص، قفزة كبيرة أدت بها في نهاية المطاف، بعد طول مخاض، إلى الانفصال عن علم اللاهوت[3].

وقد تزعم هذا الاتجاه في ألمانيا عدد من المستشرقين الأوائل، كان على رأسهم الرائد الأول للدراسات العربية العلمية، الذي يعتبر أول مستعرب وعالم إسلام، اعتمد على جهوده الفردية، اسمه يوهان ياكوب رايسكه Johan Jakob Reiske (1716 -1774) [4]، الذي درس العربية لأجل العربية، واهتم بدراسة الأدب العربي والأمثال، وترجم بعض أشعار المتنبي ونشر نصوصا نقدية، وقاد المعركة من أجل تحرير الدراسات العربية من اللاهوت[5]، إلى درجة أنه لقب نفسه بـ "شهيد الأدب

---

[1] يدخل في هذا الإطار عمل "فولتير"المسرحي (L'Orpholin de Chine) الذي صور فيه ميثالية عصر التنوير في لباس صيني، ينظر:

A. Schimmel, Weltpoesie ist Weltversöhnung…,S. 16. A. Schimmel, West-östliche Annäherungen, S.48

[2] A. Schimmel, Weltpoesie ist Weltversöhnung, S. 16

[3] فؤاد أفرام البستاني، دائرة المعارف، 33/12. يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص 103. صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، ص 27. ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية، 147/1. قارن ب

Gernot Rotter, „Die arabischen und islamischen Studien an der Universität Tübingen", S. 249. A. Schimmel, West-östlich Annäherungen, Europa in der Begegnung mit der islamischen Welt, S. 52. A. Schimmel, Der Islam, Eine Einführung, S. 8-9

[4] قدرت جهود "يوهان ياكوب رايسكه"من طرف "ليسينج" (Lessing) شاعر ألمانيا وكذا المستشرق الألماني"هيردر" (Herder) ولم يعترف بها من طرف زملائه. قارن بين فؤاد أفرام البستاني، دائرة المعارف، 33/12. ظافر يوسف، الاستشراق الألماني إلى أين؟ ص 29.

A. Schimmel. West-östliche Annäherungen, S. 52

[5] يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص 126، وقارن ذلك مع

A. Schimmel, West-östliche Annäherungen, S. 52

العربي" لما عاناه من عوز مالي[1]، ومضايقة من علماء اللاهوت وبعض المستشرقين، على رأسهم أستاذه شولتنز Schultens[2]، الذي كان يرى - وهذا في اعتقادنا هو سبب صراعه مع رايسكيه- أنه لا يمكن للعربية إلا أن تكون لغة إضافية من أجل دراسة العبرية، ولا يمكن للشعر العربي إلا أن يكون مرجعا لإثباتات وبراهين حول التوراة. أما رايسكه فإنه بتأريخه لنصوص من القرن السادس، وتحليله لها كما هي كقيمة خاصة، قد أحيى اللغة العربية باعتبارها لغة مستقلة تحمل قيما أخرى غير القيم اللغوية[3].

لم يكن أحد من معاصري رايسكه على علم بخصوصية قواعد اللغة العربية، واستقلال هذا العلم، وعدم ارتباطه بغيره من العلوم اللغوية واللاهوتية. ولم يقف أحد عن وعي سواه ضد فقه اللغة المقدسة (العبرية)، الذي كان مسيطرا على عقول العلماء في ذلك العصر، إذ لطالما صرح بقوله: "لو أردنا خدمة العربية لوجب ألا نتعامل معها كلاهوت"[4].

بهذه الرغبة الجامحة في تحرير الدراسات العربية من اللاهوت، أصبح المستشرق رايسكه "صاحب الفضل في جعل علم اللغة العربية في ألمانيا علما قائما بذاته"[5]. وأصبح "الوحيد [في عصره] الذي سيضع تطبيقا مختلفا جذريا للعربية كأدب وتاريخ "[6].

3.3. المرحلة العلمية: مرحلة الفيلولوجيا (فقه اللغة)

لقد اعتبر رايسكه، بلا منازع، المؤسس الحقيقي، وواضع الأساس للدراسات العربية في ألمانيا، الأمر الذي فتح المجال وعبد الطريق أمام المستشرقين بعده للتعريف بالأدب و التاريخ العربيين؛ بل لقد تجاوز هذا التطور الذي أحدثه حدود ألمانيا، لينتقل إلى أوروبا ويتجاوزها إلى مناطق أخرى من

---

[1] كتب المستشرق "ي. ج. هيدر" (J. G. Herder) في معرض الإشادة "بيوهان ياكوب رايسكي" قائلا: "العلماء الألمان لديهم الهمة والمعرفة ولكنهم يفتقرون إلى التدعيم الذي يمكنهم من الخروج على الناس بهما، وهناك بلاد أخرى فيها المعاهد والهيئات لتدعيم العلماء ولكن العلماء فيها نيام". وقال عنه أيضا أنه "مات شهيد حماسه لكل ما هو عربي وإغريقي" نقلا عن:
A. Schimmel, Die Aneignung arabischer Literatur…, Araber und Deutsche, S. 133

[2] للمزيد من الاطلاع على حياة "رايسكه" ومعاناته مع علماء اللاهوت و بعض المستشرقين من أساتذة اللغات الشرقية، ينظر: صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، 17/1 و ما بعدها .أحمد حسن عبد السلام، " تاريخ الاستشراق الألماني"، مجلة الفكر العربي، ع، 32، س 5، 1983، ص 147. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 298 و ما بعدها .وينظر أيضا
Hans R. Roemer, Araber und Deutsche…, S. 5. A. Schimmel, Der Islam, Eine Einführung, S. 8-9

[3] أحمد حسن عبد السلام، "تاريخ الاستشراق الألماني"، ص 195. صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، 17/1 وما بعدها .

[4] يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص 116- 117. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 998 وما بعدها.

[5] يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص 125. قارن ب: Hans R. Roemer, Araber und Deutsche, S. 5

[6] أحمد حسن عبد السلام، "تاريخ الاستشراق الألماني"، ص 139.

العالم[1]، فازدهرت الدراسات العربية والفارسية ثم التركية، ولقيت آذانا مصغية كثيرة فيما وراء جمهور المتخصصين.

وبحلول القرن التاسع عشر أصبحت فرنسا، وخاصة عاصمتها باريس، مركزا متميزا للدراسات الشرقية بعدما انتزعت القيادة من هولندا، بفضل تأسيس الحكومة الثورية مدرسة اللغات الشرقية الحيةEcole des langues orientales vivantes؛ وكذا الإنجازات الخارقة للمستشرق الفرنسي دي ساسي، مؤسس الاستشراق العلمي وفقه اللغة العربية في الغرب[2]، والذي عين أستاذا للعربية والفارسية في المدرسة نفسها، و جعل من باريس مركزا للدراسات العربية، وقبلة يؤمها الطلاب والعلماء من جميع أنحاء أوروبا. فبفضل شجاعته وثقته البالغة في العقل البشري، نجحت أفكار التنوير في فرنسا في رفض كل معتقد غيبي، ودعت إلى تعليل التاريخ تعليلا سببيا، و تحرير الفكر الأوروبي من معتقدات الكنيسة السلطوية آنذاك.وبالتالي عملت على وضع الشروط المسبقة لتحرير الدراسات العربية من كل قيود اللاهوت المقيدة لها. بالإضافة إلى ذلك كانت المصالح الاقتصادية والسياسية لفرنسا في الشرق، وعلاقاتها الطيبة مع الإمبراطورية العثمانية، تشجع الاهتمام بدراسة اللغات الشرقية وتدعمه. كما تقوت علاقة فرنسا بالشرق بعد الثورة الفرنسية بشكل واضح بعد حملة نابوليون بونابارت Napoleon Bonaparte (1769-1821)على مصر عام 1798، التي كان من نتائجها تأليف عدد كبير من المؤلفات حول الشرق[3]. في تلك الفترة كانت ألمانيا البلد الوحيد الذي أرسل أكبر عدد من الطلبة إلى دي ساسي، ذلك أنها أدركت أهمية الدراسات الشرقية، فعملت لها أضعافا مضاعفة، وأسست لها كراسي خاصة[4].

إن التجديد الفعال للدراسات العربية في ألمانيا سيأتي هذه المرة، بعد خمسين سنة من وفاة رايسكه، من أولئك الطلبة الألمان الذين درسوا على يد دي ساسي وتأثروا به، وحملوا معهم إلى جامعات بلادهم اهتماما باللغة العربية بصفتها لغة وأدبا، وأصبحوا قادة الاستشراق الألماني في النصف الأول من القرن التاسع عشر، كان على رأسهم كل من فيلهلم فرايتاغ Wilhelm Freytag

[1] مقال بخط يد المستشرقة "أنيماري شيمل" بعنوان : فريدريش روكرت.وقد سلمتني إياه في أول زيارتي لها صيف 2001 بمدينة بون الألمانية، ص 1. ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية، ص 147. قارن ب:

Hans R. Roemer, Araber und Deutsche..., S. 5

[2] ينظر في هذا المجال يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص 145. صلاح الدين المنجد ،المستشرقون الألمان، 30/1وقارن ب:

A. Schimmel, West-östliche Annäherungen..., S. 63

[3] نجيب العقيقي، المستشرقون، 679/2. يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص 145. محمد حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص 38 و ما بعدها.

[4] يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص 159.

(1788-1861) في مدينة بون وهايزيش فلايشر Heinrich Fleischer (1801-1888) في مدينة لايبزيغ، هذا الأخير الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدراسات العربية في ألمانيا، حيث تتلمذ على يديه الجيل المعروف من المستشرقين الكبار أمثال تيودور نولدكه وغولدتسهير ويعقوب بلرت وأوغست مولر وغيرهم[1].

تخبرنا الدراسات المهتمة بالاستشراق الألماني أن دروس المستشرقين الألمان الذين درسوا على يد دي ساسي كانت تحضرها جماعات غفيرة من الطلاب الألمان والأجانب، ليكتسبوا منها الدقة الفيلولوجية والنقد الفيلولوجي للغة العربية، فأصبحت بعض معاهد ألمانيا نموذجا لتعلم دراسة اللغة العربية حسب المنهج العلمي[2]، الذي يقوم، حسب عبد الرحمن بدوي، على الاستناد الوثيق إلى الشواهد اللغوية العربية في المقام الأول، وإلى أعمال اللغويين والنحاة العرب، والابتعاد عن الفروض التي قد تكون بارعة ولكنها واهية الأساس. فكان أشهر من تميز بهذا المنهج المستشرق فلايشر[3] الذي سنتناول جهوده في الفقرات القادمة.

وبناء عليه فإن تمكن هؤلاء المستشرقين من الثروة اللفظية والاستعمالات اللغوية للعربية، ومعرفتهم بالنحويين العرب، جعلهم ينظرون، بطريقة موضوعية وتحليل علمي، إلى فقه اللغة العربية بصفته منطلقا للتعامل العلمي مع كل النصوص العربية[4]. وتأكيدا لهذه الحقيقة فقد صرح المستشرق الألماني المعاصر هانس هالم Hans Halm، أستاذ التاريخ الإسلامي في معهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة توبنجن، في حوار أجريته معه، أن القرن 19 هو قرن تركيز المستشرقين الألمان

---

[1] من أشهر هؤلاء المستشرقين الألمان أيضا نجد إيفالد، وفلوجيل، وكوزيجارتن، ومكسيمليان، وبرنشتاين. و منهم من لم يدرس على يد دي ساسي كفيشر، وروكرت وغيرهم كثير. ينظر نجيب العقيقي، المستشرقون، 2/679-706. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 145 . عبد المتعال محمد الجبري، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، دراسة في تاريخ الاستشراق وأهدافه وأساليبه الخفية في الغزو الفكري للإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1995، ص 82. أحمد حسن عبد السلام، "تاريخ الاستشراق الألماني"، ص 196. A. Schimmel, West-östliche Annäherungen…, S. 63

[2] من هذه المعاهد معهد لايبزيج، ومعهد برلين للغات الشرقية. ينظر نجيب العقيقي، المستشرقون، 2/679. أنيماري شيمل، "ورقة من تاريخ الاستشراق الألماني"، مجلة فكر و فن، ع. 6، 1965، دار النشر Übersee-Verlag, Hamburg، ص 40.

Enno Littmann Der deutsche Beitrag zur Wissenschaft vom Vorderen Orient, Kohlhammer, Verlag. Stuttgart und Berlin 1949, S. 5

[3] عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 403.

[4] من أشهر المستشرقين الذين ساهموا بقوة في تكريس تدريس اللغة العربية وإحياء تراثها، نذكر على سبيل المثال "فرديناند فوستنفلد" و"كارل بروكلمان"، و"أوغست فيشر"، و"جورج يعقوب"، و"ركندوف"، و"ليتمان"، و"برجشتراسر"، و"يوهان فوك"، وغيرهم. قارن بين: يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص 340. ظافر يوسف، الاستشراق الألماني إلى أين؟ ص 25.

على دراسة اللغة العربية والشعر والأدب[1]، حيث حقق الاستشراق الألماني إنجازات كبيرة في دراسة علم اللغة، وأصبحت بذلك الدراسات النحوية المقارنة، حسب المستشرق إينو ليتمان، ميدان تفوق الألمان؛ يتجلى ذلك في كون كل جامعة ألمانية قد ضمت أستاذا للغات الشرقية، واضطلعت، نتيجة ذلك، ألمانيا جزئيا بالقيادة في هذا العلم، رغم أنه لم تكن لها مشاركات سياسية في الشرق الأدنى[2]، مقارنة مع دول أخرى، كفرنسا وبريطانيا[3].

لقد أصبحت العربية، بصفتها لغة وأدبا، تحتل مركز الصدارة للفيلولوجية السامية في ألمانيا[4]، وأصبح علم الاستشراق الألماني يقوم على أساس المنهج اللغوي الدقيق، الذي يعطي للغة والأدب وزنا هاما على أسس موضوعية.

ويرجع الفضل أيضا في هذا التحول، حسب المستشرق الألماني هوغوفون غرايفنكلاو، إلى الاتجاه الرومانسي في ألمانيا، الذي جعل من هذا التخصص العلمي مجالا للتنوق الجمالي، حيث أثار الشعران العربي والفارسي المترجمان إلى الألمانية، الشعراء الألمان، وفي مقدمتهم فولفانج غوته Wolfgang Goethe (1749-1832)، صاحب "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي"، وأقبل الجمهور مختلا على الإعجاب بغرابة الشرق وبرسالته الأخلاقية والجمالية. فشاعت في عصر التنوير المقولة المشهورة: "الضوء أتى من الشرق"[5]. وبذلك ظهرت أعمال كبيرة في مجال فقه اللغة والترجمة والتحقيق والفهرسة والمعاجم وغيرها.

ولا ننسى في هذا السياق أن نذكر أيضا جهود المستشرق الألماني هيردر Herder ودوره في تغيير النظرة النمطية عن الحضارة الإسلامية ولغتها العربية في الاستشراق الألماني، وتأثيره الإيجابي في الاتجاه الرومانسي. لقد فتحت آراؤه، وهو المتتبع لكل الاتجاهات الجديدة في مجال الاستشراق، بابا جديدا في العلاقة بين أوروبا ودول الشرق[6]، وأوصى في مجلته "Adrastea" عام 1803، وهو العام الذي توفي فيه، بامتلاك الأشياء الشرقية قائلا: " لا تمنع الطامة فإن الأمور تسير بشكل رائع، فأوروبا بلادنا

[1] حوار اجريته مع المستشرق الألماني هانس هالم، (Hans Halm) أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة توبنجن Tübingen، بتاريخ 1 سبتمبر 2002.

[2] Enno littmann, Der deutsche Beitrag zur Wissenschaft vom Vorderen Orient, S. 33

[3] لكن الأستاذ العقيقي يشير إلى أن سبب إنشاء مدرسة اللغة الشرقية بولين عام 1887 على غرار فرنسا و النمسا، يرتبط بمصالح ألمانيا السياسية و التجارية مع الدولة العثمانية. ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، 679/2.

[4] Enno littmann, Der deutsche Beitrag zur Wissenschaft vom Vorderen Orient, S. 33

[5] هوغو فون غرايفنكلاو، "ماهو واقع الدراسات الشرقية في ألمانيا؟"، مجلة فكر و فن، ع 62، س 32، 1995، ص 44. قارن ب:
A. Schimmel, West-östliche Annäherungen, S. 66. A. Schimmel, Weltpoesie ist Weltversöhnung, S. 14-15

[6] A. Schimmel, Weltpoesie ist Weltversöhnung, S.15

تستعمل في يدها العالم الشرقي والجنوبي واللغة الفارسية والعربية كسلاحين ليس للخداع والضغط، ولكن للخير والصالح العامين. إننا لا نريد اللعب بهذين اللغتين في أوروبا، وإنما نريد أن نتعلم منهما وعبرهما"[1].

وخلاصة القول فإننا نتفق مع ما ذهب إليه المستشرق بارت[2] حين اعتبر منتصف القرن التاسع عشر مرحلة ظهور الصبغة العلمية، بالمعنى الحديث، للاستشراق الألماني أكثر من ذي قبل، بينما مرحلة النصف الثاني من القرن الثامن عشر، كانت النيات متجهة إلى فهم موضوعات الدراسات اللغوية، ودراسة اللغة العربية على الخصوص، فهما موضوعيا، وموجودة أيضا وجودا يمكن إثباته بالأدلة والشواهد، وذلك مالاحظناه مع رايسكه في جهوده الهادفة إلى تحرير اللغة العربية من علم اللاهوت.

ظل الاتجاه الفيلولوجي، الذي يعنى بالمسائل الدقيقة وتحقيق الجزئيات من روايات ووثائق، مسيطرا على علم الاستشراق الألماني إلى حدود منتصف القرن التاسع عشر. فقد نشأ هذا الاتجاه على أساس منهج البحث اللغوي الدقيق، الذي اقتبسه المستشرقون الألمان من دراساتهم لدي ساسي، ومن ميداني دراسات الكتاب المقدس ودراسات اللغات الكلاسيكية، حيث كانت القاعدة من قبل هي أن يدرس الأستاذ الجامعي اللغات السامية، بما في ذلك اللغة العربية، يضاف إلى ذلك اللغات الإيرانية والتركية[3]، إلى درجة أن المستشرقين الألمان كانوا "إذا درسوا مصدرا من المصادر، حتى ولو كان مدونة تاريخية، يرون فيه، أولا وقبل كل شيء آخر، نصا لغويا وأدبيا، وكانوا يقيمون للكلمة النادرة التي لا ترد في النصوص إلا مرة واحدة، وزنا أكبر بكثير من ذلك الذي يقيمونه لاتجاه تاريخي جديد"[4].

4. تدريس اللغة العربية في معاهد الاستشراق الألمانية

غني عن البيان أن اللغة العربية تحتل مكان الصدارة في الدراسات الاستشراقية الألمانية، مقارنة مع الفارسية والتركية. ولقد كان للمعاهد الاستشراقية في الألمانيتين قبل الوحدة، وفي الدول الناطقة

[1] A. Schimmel, West-östliche Annäherungen..., S. 60-62

[2] رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص 17.

[3] قارن بين فؤاد أفرام البستاني، دائرة المعارف، 34/12. و

Ulrich Haarmann, „Die islamische Moderne bei den deutschen Orientalisten“, Araber und Deutsche..., S. 56

[4] Ulrich Haarmann, „Die islamische Moderne bei den deutschen Orientalisten“, S. 56

بالألمانية مثل النمسا وسويسرا وجانبا كبير من هولندا أو بلجيكا ولوكسمبورج وغيرها، دور كبير في نشر اللغة العربية، وقلّ أن نجد مدينة كبرى في ألمانيا دون أن نرى مركزا لتعليم اللغة العربية.

وتنبغي الإشارة في هذا السياق إلى أن المستشرقين الألمان لا يفصلون بين دراسة علوم الاستشراق المختلفة وبين إتقان هذه اللغة، ابتداء من لغة الشعر الجاهلي القديم ولغة القرآن، مرورا بلغة العلوم والآداب المختلفة في العصور الإسلامية والآداب العربية المسيحية، وصولا إلى لغة العصر الحديث ولهجاته المحلية العديدة[1].

وللبرهنة على ذلك، فإنه يمكن لطالب اللغات الإسلامية، وخاصة اللغة العربية، أن يدرس هذا التخصص في معاهد مختلفة، في نحو خمس وعشرين جامعة ألمانية. وقد عمل المستشرقون الألمان لتحقيق هذا الهدف، على نشر كتب عديدة ودراسات مختلفة لقواعد اللغة العربية، نذكر منهم فلاشير الذي ترك أثرا في الأسس المنهجية للدراسات العربية في ألمانيا. فقد انصرف بكليته إلى قضايا متعددة: كالقواعد والمفردات والاستعمالات اللغوية، ناشرا عددا لا بأس به من الرسائل. وكأستاذ جامعي درس عليه الكثير من الطلاب، جعل من جامعة لايبزيغ مركزا للدراسات العربية[2]. ويبرز أيضا في هذا المجال المستشرق فيشر الذي حذا حذو فلاشير في العناية بفقه اللغة العربية، كأساس لدراسة النصوص وتحقيقها، مجددا بمذهبه دراسة اللغة العربية في جامعات ألمانيا[3].

ولعل العرب يدركون أكثر من غيرهم، صعوبة تعلم اللغة العربية لما لها من خصائص ومميزات، جعلت المستشرق شاك وغيره يصنفها في خانة أصعب اللغات تعلما، مما يتطلب من الراغب في استيعابها وضبط تراكيبها جهدا مضاعفا. ولعل أبلغ الإشارات دلالة على ذلك، قوله في كتابه "نصف قرن ذكريات وأوصاف":

"من الصعب على من ليس مستشرقا أن يتصور أي مجهود يحتاجه تعلم العربية إلى حد مقبول. وأنا أزعم أن من الأسهل على الإنسان أن يتعلم كل اللغات الأوروبية على أن يتعلم هذه اللغة السامية الواحدة، التي تزيد في صعوبتها حتى على اللغة السانسكريتية. وحتى يقدر المرء على قراءة الشعراء العرب بسهولة، لا بد له من أن يتفرغ السنوات الطوال لدراسة هذه اللغة. فإلى جانب نحوها البالغ التعقيد وثرائها في الألفاظ ثراء لا يحصى، نجد

[1] فؤاد أفرام البستاني، دائرة المعارف، 33/12.

[2] فؤاد أفرام البستاني، دائرة المعارف، 33/12-34.

[3] تتناول مؤلفاته في هذا المجال اللهجات العربية والشعر والنثر والتحقيق والمعجم والأدب وفقه اللغة وغيرها. ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، 771/2-772.

في أفكارها شدة التدقيق "Das Rafinierte"، يضاف إلى ذلك أن كتابتها تتم بدون حروف صائتة (شكل) وبدون علامات ترقيم"[1].

لذلك ندرك كم نال بعض المستشرقين من المتاعب في سبيل العربية. فهذا رايسكي الذي لقب نفسه بشهيد الأدب العربي، قد مات مشلولا بعد انصرافه الطويل إلى اللغة العربية والشعر العربي القديم، وكان ينشر النصوص العربية التي كان يحققها على نفقته الخاصة رغم فقره [2]. أما ويستن فيلد[3] فقد فقد بصره من كثرة البحث والعمل على نشر النصوص العربية طوال ستين سنة، وبلغت الحماسة بالعربية عند كريستمان أن أعد بنفسه الحروف العربية في قوالب من خشب، حتى يسهل طبع النصوص في المطبعة.

5. التعريف بالنقوش اللغوية العربية

تؤدي الآثار والنقوش القديمة دورا بالغ الأهمية، ذلك أنها تمدنا، من ناحية، بمعلومات مفيدة عن اللغة والدين والحضارة والتاريخ، عندما تنعدم المصادر الأدبية والعلمية، وتعد من ناحية أخرى، ذات أهمية بالغة لمعرفة تاريخ تطور الكتابة عبر العصور. ولقد أدرك المستشرقون الألمان أهمية هذا الأمر، فقاموا برحلات متتالية إلى البلاد العربية والإسلامية، محاولين اكتشاف ما فيها من ذخائر ثمينة، وتحف نادرة ورسوم قديمة، وأنشأوا لذلك متاحف وأقساما علمية.

قبل أن نشير إلى إنجازات المستشرقين الألمان العلمية والفكرية، المتعلقة بالتعريف بالنقوش العربية وبالفن الإسلامي، لابد أن ننبه إلى أن الفن الإسلامي، الذي لم يكن يدرس أصلا في معاهد الاستشراق الأوروبية كمادة متخصصة في تاريخ الفن خلال القرن 19، وكان لزاما عليه أن يناضل إلى حدود القرن 20 ليعترف به، لم يبحث عن قرب إلا في الربع الأخير من القرن 19. ويرجع الفضل في ذلك أولا، للعمل الضخم الذي ألفه بريسه دافينيس Prissed'Avennes عام 1877 بعنوان "الفن العربي" L'Art Arab، الذي قدم نظرة حول أشكال الكنوز المعمارية المصرية. يضاف إليه المعرض الأول

[1] نقلا عن عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 373.

[2] طبع الجزء الأول من "تاريخ أبي الفداء"، و"لامية الطغرائي" على نفقته، ولم يبع من الكتاب الأول إلا ثلاثين نسخة، ومن الثاني سوى مائة نسخة!

[3] عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 8.

للزرابي الشرقية الذي أقيم عام 1891 بفيينا، وفتح عيون الزوار على جمالية السجاد اليدوي الفارسي والتركي، الذي أصبح من أحب المقتنيات الشرقية.[1]

لكن الاختراق الأهم الذي حققه الفن الإسلامي، وجعله يكسب بعده الخاص به، بعدما كان ينظر إليه عبر القرون كغريب، كانت تزين به الصور والنقوش الغربية، إنما جاء من خلال المعرض الأول لتحف الفن الإسلامي، الذي أقيم عام 1911 بمدينة ميونيخ الألمانية. وبذلك وضعت الأسس الأولى للأبحاث العلمية المتعلقة بالفن الإسلامي[2].

عرفت الدراسات الاستشراقية في مجال علم الآثار وتاريخ الفن الإسلاميين، الذي يرتبط بالمجال الثقافي للشرق الأدنى، تقدما كبيرا في ألمانيا خلال العقود الأولى من القرن الماضي. وشمل البحث، إضافة إلى آثار الحضارات الشرقية القديمة البائدة، الفن والآثار في الشرق الأدنى القديم، وخاصة الفن الإسلامي المتمثل في الخط العربي والكتابات المزخرفة وغيرها[3]. وصار بذلك علم الآثار وتاريخ الفن عنصرين مهمين في أبحاث الاستشراق الألماني، وعلمين مستقلين[4].

وقد ساعد المستشرقين الألمان في هذا المجال إتقانهم للعديد من اللغات الشرقية. فتوصلوا عن طريق ذلك إلى التعرف على الحضارة القديمة لعالم الشرق قبل الإسلام وبعده، وساهموا بأساليب متميزة في شرح النقوش القديمة، وفك الرموز وتحليل الرسوم، وكشف المواقع المدفونة، سواء في اليمن أو سوريا أو مصر أو الجزيرة العربية أو إيران أو العراق أو شمال إفريقيا وغيرها[5].

ففي مجال تصوير الآثار والنقوش، نجد كلا من راتينس Ratinz وفون فيسمان Von Wiesmann اللذين قاما شتاء 1927-1928 برحلة بحث إلى اليمن، التقطا خلالها صورا لعدد كبير من النقوش بإتقان، وكانا من أوائل من قام بحفريات منظمة في تلك البلاد الوعرة، حيث أضافا بذلك معرفة إلى دراسة العصور القديمة للعربية الجنوبية، ووصفاها علميا. كما التقط موسل Mossel صورا جغرافية وشعبية، ونشرها في عمله اللغوي "العربية الصخرية"[6].

وإسهاما منها في العمل البحثي المتعلق بالكشوفات الأثرية والفنية، فقد نجحت جمعية الشرق الألمانية وجماعة الشرق الألمانية في القيام برحلات بحثية وتنقيبات في مصر وبلاد النهرين وشمال

---

[1] A. Schimmel, West-östliche Annäherungen, S. 78

[2] يرجع الفضل في وضع تلك الأسس إلى فريدريش سارو(Friedrich Sarre صاحب مبادرة المعرض في ميونيخ، وإلى المستشرق إرنست كونيل Ernst Kühnel، ينظر: A. Schimmel, West-östliche Annäherungen, S. 78

[3] Enno Littmann, Der deutsche Beitrag zur Wissenschaft..., S. 29

[4] فؤاد أفرام البستاني، دائرة المعارف، 33/12. رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص 53.

[5] Enno Littmann,Der deutsche Beitrag zur Wissenschaft vom Vorderen Orient, S. 17

[6] Ibid, S. 16-17

سوريا وآسيا، أسفرت عن اكتشاف عدد هائل من ألوان الكتابة المسمارية والنصوص بلغات مختلفة[1].

ومن الدراسات الرائدة في مجال الكتابات المسمارية، ما قام به جزنيوس وروديجر من دراسة اللغات العربية الجنوبية (السوقطرية والمهرية والشحرية "الجبلية" والبطهارية والحرسوسية والقتبانية والأوسانية) على أساس النقوش السبئية التي اكتشفها الإنجليز سنة 1836 في صنعاء، ووضع كتابا عن حضرموت. وهذا ما يفسر كون دراسات المستشرقين الألمان عن جنوب الجزيرة العربية، تعد أول الدراسات وأوفاها، لا سيما في المجال اللغوي.[2]

لقد أظهر المستشرقون الألمان بهذه الأعمال العظيمة والمتميزة، في نشر الكتب العديدة والدراسات المختلفة لقواعد اللغة العربية، وفك الرموز والرسوم الأثرية، قدرة فائقة على ضبط اللغة العربية وامتلاك ناصيتها. وقدموا للباحثين والدارسين في اللغتين العربية والألمانية خدمات لا تقدر بثمن.

خاتمة

يتبين من خلال هذه الدراسة أن اللغة العربية لم تكن مجرد موضوع ضمن اهتمامات الاستشراق الألماني، بل شكلت محورا رئيسا في تشكله وتطوره عبر العصور. فمن مرحلة التوظيف اللاهوتي المحدود، إلى مرحلة الاستقلال العلمي والانخراط الفيلولوجي العميق، استطاع المستشرقون الألمان أن يؤسسوا تقليدا علميا رصينا في دراسة اللغة العربية، قائما على منهج دقيق، واحترام للنصوص، واعتراف بقيمتها الحضارية والأدبية. كما أن الجهد الكبير الذي بذلوه في التدريس والتحقيق والترجمة وفك النقوش، أسهم في نقل صورة أكثر موضوعية وغنى عن التراث العربي إلى الأكاديمية الغربية.

وتؤكد هذه المسيرة أن العلاقة بين اللغة العربية والاستشراق الألماني لم تكن مجرد علاقة بحث خارجي، بل مثلت، في كثير من الأحيان، جسرا حقيقيا للتبادل الحضاري والمعرفي. وهو ما يدعو اليوم إلى استثمار هذا الإرث العلمي في بناء حوار متجدد بين الثقافات، يقوم على المعرفة العميقة والاحترام المتبادل.

[1] Ibid, S. 19

[2] يحيى عبد الرؤوف جبر، الاستشراق في جامعة توبنجن الألمانية (المعهد الشرقي)، عالم الكتب، قوص، مج 15، ع. 6، الجماديان 1415هـ/ نوفمبر - ديسمبر 1994م، ص 14.

لائحة المصادر والمراجع

العربية

- بارت، رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه، تر. مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة، (بدون تاريخ).
- البستاني، فؤاد أفرام، قاموس عام لكل فن و مطلب، دائرة المعارف، بيروت، 1977.
- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط 3، دار الملايين، بيروت، 1993.
- الحاج، ساسي سالم، الظاهرة الاستشراقية وآثارها على الدراسات الإسلامية، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي، 199 1.
- فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية و الإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين ، تر. عمر لطفي العالم، ط1، دار قتيبة، دمشق، 1996.
- العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، مصر، 1965.
- المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1978.
- الجبري، عبد المتعال محمد، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، دراسة في تاريخ الاستشراق وأهدافه و أساليبه الخفية في الغزو الفكري للإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995.
- زقزوق، محمد حمدي، الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، سلسلة كتاب الأمة، ط1، 1998م.
- شيمل، آنيماري، مقال بخط يد المستشرقة "أنيماري شيمل" بعنوان: فريدريش روكر، (وقد سلمتني إياه في أول زيارتي لها صيف 2001 بمدينة بون الألمانية).

المجلات العلمية

- التراث العربي، دمشق، ع، 68، س 17، آب "أغسطس" 1997م -ربيع الآخر 1418هـ .
- فكر وتاريخ، دراسات مهداة للدكتور مانويل فايشر، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 23، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998م.
- مجلة فكر وفن، أعداد: 1965/6، 31 و1983/32، 1995/62، دار النشر Übersee-Verlag Hamburg.

- عالم الكتب، قبرص، مج 15، ع6، الجماديان 1415هـ/ نوفمبر - ديسمبر 1994م.

الحوارات

- هالم، هانس، حوار أجريته مع المستشرق الألماني هانس هالم (Hans Halm) أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة توبنجن، بتاريخ 9 يناير 2002 .

المصادر الأجنبية

- Kochwasser, Friedrich H.; Roemer, Hans Robert, *Araber und Deutsche: Begegnung in einem Jahrhundert/ Tübingen*, Horst Erdmann Verlag, 1974.
- Littmann, Enno, *Der deutsche Beitrag zur Wissenschaft vom Vorderen Orient*, Kohlhammer, Verlag. Stuttgart und Berlin, 1949.
- Roemer, Hans Robert, *Deutsche Orientalistik der siebziger Jahre, Thesen- Zustandsanalyse-Perspektiven*, Deutsche morgenländische Gesellschaft, Freiburg, August. 1972.
- Schimmel, Annemarie, *Der Islam*, Eine Einführung, Philipp Reclam Jun, Stuttgart, 1990.
- Schimmel, Annemarie, *Weltpoesie ist Weltversöhnung*, Ergon Verlag, Würzburg, 1996.
- Schimmel, Annemarie, *Die Aneignung arabischer Literatur in der deutschen Klassik und Romantik*, in: Kochwasser, Friedrich H.; Roemer, Hans Robert, *Araber und Deutsche: Begegnung in einem Jahrhundert/ Tübingen*, Horst Erdmann Verlag, 1974.
- Schimmel, Annemarie, West-östliche Annäherungen-Europa in der Begegnung mit der islamischen Welt. Verlag W. Kohlhammer, Stuttgart, Berlin, Köln, 1995.